الاعداد التي تجمع تسعان : قسم يؤتى به ليضم بعضه الى بعض وهو الاعداد الاصول نحو « ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة » ، « ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة » .

« ولم يقولوا ثلاث وخماس ؛ ويريدون ثمانية ، كما قال تعالى : « ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم » وللجهل بموقع هذه الالفاظ استعملها « المتنبي » فى غير موضع التقسيم فقال :

«أحاد أم سداس فى احاد ليبلتنا المنوطة بالتنادي»

ونستأنس فى فهم مثنى وثلاث ورباع بآية فاطر:

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع » 34 وآية سبا : « قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى » 46 .

فندرك الملحظ البياني للواو فى مثل هذا السياق، بما تفيد من كون الملائكة ليسوا جميعا سواء ، بل منهم أولو جناحين ومنهم اولو ثلاثة واولو اربعة . وفى آية سبا ، تخيير يكون لهم فيه ان يقوموا فرادى وان يقوموا مثنى . ولو قيل « مثنى أو فرادى » للزم أن يقوموا جميعا اما مثنى واما فرادى ، ولم يكن لهم ان يقوموا فى بعض الحالات مثنى ، وفى بعض الحالات فرادى .

وبهذا الاستئناس لا نرى السياق يستقيم ، بل لا نراه يصح اطلاقا ، اذا ما وضعت (أو) مكان (الواو) فى آية النساء . لأن مقتضى التعبير بحرف (أو) انه لا يسوغ لهم الا أن ينكحوا جميعا مثنى أو ثلاث أو رباع ، بحيث لا يختلف رجل عن رجل ، وليس هذا هو الحكم المستفاد من الآية فى اباحة تعدد الازواج ما بين مثنى وثلاث ورباع ثم لا يتجاوز وزنها الى المحظور وراء رباع (1) ويخطىء سر العربية من يفرق بين : مثنى وثلاث ورباع ، وبين اثنتين وثلاث واربع المعادلة لتسع !

كما يخطئه من لا يميز بين « مثنى وثلاث ورباع » وبين : مثنى أو ثلاث أو رباع ، بما تفيد « أو » من اتفاقهم جميعا على ان ينكحوا اما مثنى واما ثلاث واما رباع .

واظن أن هذه المثل التي قدمتها تكفي لاجتلاء سر الحرف لا يقوم مقامه غيره . ويغنى عن مزيد تتبع هنا ، ما قد يتاح لنا من تدبر الحرف فى سياقه القرآني عند الحديث عن (الظواهر الأسلوبية وسر التعبير).

« دلالات الالفاظ وسر الكلمة »

من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية واختلفت مذاهبهم فيها . والبيان القرآني يجب ان يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه ، حين يهدي الى سر الكلمة لا تقوم مقامها كلمة سواها من الالفاظ المقول بترادفها .

والامر كذلك فى الفاظ القرآن ، ما من لفظ منها يمكن ان يقوم غيره مقامه ، وذلك ما ادركه العرب الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن عصر البعث واعياهم ان يأتوا بسورة من مثله .

واحتاج هنا الى وقفة قد تطول عند مشكلة الترادف التي طال الجدل فيها والخلاف عليها .

ولا يشغلنا تعدد الالفاظ للمعنى الواحد ، اذا كان عن اختلاف لغات القبائل ، وذلك ما لا خلاف فيه فيما اعلم (2) .

وانما يشغلنا الترادف حين يقال فيه بتعدد الالفاظ للمعنى الواحد دون ان يرجع الى تعدد اللغات :

منا من يعد هذا الترادف ظاهرة فقدان الحس اللغوي وعدم قدرته على ضبط الدلالات وتحديد معاني الالفاظ ، أو يراه من الفضول والتزيد الذي لا فائدة فيه (3) .

ومنا من يرى هذا الترادف ظاهرة غنى وسعة وقدرة على التصرف . وما اكثر من يباهون بهذا الثراء اللغوي ويعدونه ميزة من مزايا العربية الشريفة . وان يكن تقدم الدراسات اللغوية قد جاوز بنا مرحلة

---

1) انظر تفسير الطبري والزمخشري : سورة النساء .
2) السيوطي : المزهر ص 405 ط الحلبي
3) ابن فارس : الصاحبي فى فقه اللغة 11 .

المفاضلة الساذجة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات ، ووجهنا الى البحث فى خصائص العربية منتفعين بما قدمت البحوث العلمية الحديثة فى اللغويات والصوتيات ، فلم تعد كثرة الالفاظ الدالة على المعنى الواحد مدعاة فخر ومباهاة ، وانما اصبحت قضية تلتمس حلا .

وحين ننظر فيما وصل الينا من كتب اللغة ومعاجمها ، نراها تسلك مسلكين مختلفين متباعدين:

منها ما يقرر **وجود الترادف فيحشد للمعنى الواحد الفاظ ذات عدد** ، وهذا هو مسلك « ابي سهل الاعرابي » (فى القرن الثاني هـ) فى كتابه (النوادر) « وابن السكيت » (ق 3 هـ) فى (الالفاظ) . وللفيروزابادي صاحب (القاموس) كتاب فى المترادفات اسمه (الروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف) .

وكتاب آخر فى أسماء العسل جمع فيها ثمانين اسما .

ونقل « ابن فارس » قول من سمع « ابن خالويه » يقول :

«جمعت للاسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين»

كما نقل خبر « الاصمعي » حين سأله «الرشيد» فى شعر غريب ففسره ، فقال الرشيد : يا اصمعي، ان الغريب عندك لغير غريب .

فقال : يا امير المؤمنين : الا اكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟ (1) .

وممن قالوا بالترادف : الفراء ، وقطرب ، والفخر الرازي ، والتاج السبكي . ويوشك ان يكون هذا هو مذهب « جلال الدين السيوطي » .

وانكره علماء آخرون انكارا باتا ، الا ما كان منه فى لغات عدة . منهم « ابو علي الفارسي » الذي سمع « ابن خالوية » يقول فى مجلس سيف الدولة بحلب : احفظ للسيف خمسين اسما .

فتبسم أبو علي وقال : ما احفظ له الا اسما واحدا هو السيف .

ولما سأله ابن خالويه : فاين المهند ، والصارم، والقضيب ، والحسام ، و .. و .. ؟

أجاب : هذه صفات ، وكان الشيخ لا يفرق بين الأسماء والصفات (2) .

وصنف ابو هلال العسكري « كتابه (الفروق اللغوية) لبيان ان **اختلاف الالفاظ فى لغة واحدة ، يوجب اختلاف المعاني** . فاذا جرى اسمان على معنى من المعاني او عين من الاعيان فى لغة واحدة » فان **كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر** ، والا لكان الثاني فضلا لا يحتاج اليه » .

قال : « **والى هذا ذهب المحققون من العلماء** ، واليه اشار « المبرد » فى تفسير قوله تعالى من آية48، سورة المائدة :

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فعطف شرعة على منهاج ، لأن الشرعة لأول الشيء والمنهاج لمعظمه ومتسعه ... ويعطف الشيء على الشيء وان كانا يرجعان الى شيء واحد ، اذا كان فى احدهما خلاف للآخر ؛ فاما اذا اريد بالثاني ما اريد بالأول فهو خطا .

قال ابو هلال : « والذي قاله « المبرد » هاهنا فى العطف ، يدل على ان جميع ما جاء فى القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا ... معطوف احدهما على الآخر ، فانما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق فى المعنى . ولولا ذلك لم يجز عطف زيد على ابي عبد الله ، اذا كان هو هو (3) .

والى هذا ذهب « ثعلب » ونقل قول « ابن الأعرابي » : « وكل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد ، فى كل منهما معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فاخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله .

وصرح « ابن فارس » فى كتابه الصاحبي : « ومذهبنا ان كل صفة منها ـ اي الصفات الواقعة على الشيء الواحد ـ معناها غير معنى الأخرى . وقد خالف قوم فى ذلك فزعموا انها وان اختلفت الفاظها فانها ترجع الى معنى واحد »

---

1) السيوطي : المزهر فى علوم اللغة 405 حلبي بالقاهرة
2) ابن فارس : الصاحبي فى فقه اللغة 15 السلفية بالقاهرة
3) ابو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، ص 12

ونبه « الجاحظ » في اكثر من موضع في كتبه ورسائله الى بطلان الترادف ، الا ان يكون اختلاف لغات (1) .

*

وظلت القضية فيما اعلم معلقة لم يستقر فيها اصحاب العربية على راي حاسم ، وان كان مذهب القول بالترادف هو الذي غلب وراج في العصور المتاخرة . ويقول به اليوم عدد من اصحاب التخصص في فقه اللغة وعلم الاجتماع (2) .

والى ماض قريب ، كانت قضية الترادف من بين ما شغل به المجمع اللغوي في القاهرة. وقد اقترح احد السادة المجمعيين ان نتخفف من عبء المترادفات فنصنف معجما لالفاظ العربية يستبعد ما زاد في المعنى الواحد عن لفظ واحد يختاره المجمعيون من معاجم العربية (3)

*

والقرآن الكريم كتاب العربية الاكبر ، ومن الحق الا ناخذ في هذه القضية برأي دون عرضها على الكتاب العربي المبين » .

ولقد شهد التتبع الاستقرائي لما درست من الفاظ القرآن الكريم ، انه ينفي الترادف ، اذ يستعمل اللفظ بدلالة محددة لا يمكن ان يؤديها لفظ سواه ، في المعنى الذي تقدم له المعاجم وكتب التفسير عددا من الالفاظ قل او كثر .

وهذه بعض امثلة تجلو موقف البيان الاعلى من قضية الترادف التي اختلفوا فيها :

العلم والرؤيا :

تفسر المعاجم احد اللفظين بالآخر .

ونستقرىء مواضع ورودهما في القرآن ، ونتدبر سياقها فلا يترادفان :

استعمل القرآن الاحلام ثلاث مرات : يعطي سياقها جميعا انها الاضغاث المشوشة والهواجس المختلطة . وتاتي في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع ، دلالة على الخلط والتشوش ، لا تتميز فيه .

فيقول تعالى على لسان المشركين :

« بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما ارسل الاولون » الانبياء : 5 .

وعلى لسان الملأ من قوم العزيز :

« قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين » يوسف 44 .

اما الرؤيا فجاءت في القرآن سبع مرات ، كلها في الرؤيا الصادقة. وهو لا يستعملها الا بصيغة المفرد، دلالة على التميز والوضوح ، وجلاء المرئي وصفاء الرؤيا .

ومن بين المرات السبع ، جاءت الرؤيا خمس مرات للأنبياء ، فهي من الالهام القريب من الوحي :

رؤيا ابراهيم عليه السلام في آية الصافات :

« وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين » 109 .

ورؤيا يوسف اذ يقول له ابوه :

« يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين » 50 .

نتابع سياقها في السورة فنراها قد صدقت وتحققت :

« ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا » 60 .

ورؤيا المصطفى عليه الصلاة والسلام في الاسراء :

« وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس » 60.

ورؤياه في الفتح :

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم

---

1) انظر مثلا : الحيوان : 56/4 ، 200/7 .
2) منهم الدكتور ابراهيم انيس في كتابه (دلالات الالفاظ) والدكتور علي عبد الواحد في مقال نشره عن مزايا لغتنا العربية وفضائلها وشرفها ، سنة 1963 .
3) المجلد الثامن ، من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .